



مناظراتي في الأدب

بين السيف والقتل	للشيخ أحمد الدين بن نبهانة المصري	الأولى
بين الورد والترجمان	للشيخ أبي الحسن علي بن عبد المارديني	الثانية
بين القديل والشمعدان	للشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد الجاني	الثالثة

جمعها وشرحها أفاضها

عبد الرحمن

مكتبة لجنة الشريعة السورية بمصر

الى ذى الرياستين الدينية والسياسية
رجل سوريا الأ واحد ووزيرها الأ أكبر
صاحب الفخامة

الشيخ محمد تاج الدين الحسيني،
رئيس الوزارة السورية الافخر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

هذه ثلاث مناظرات أدبية شيقة امتلأته من أعلام الأدب العربي
أولها « بين السيف والقلم » للشيخ جمال الدين بن نباتة المصري. وثانيها
« بين الورد والرجس » للشيخ أبي الحسن علي بن محمد المارديني . وثالثها
« بين القنديل والشمعدان » للشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني .
رأيناها متفرقة بعيدة عن متناول أيدي جمهور القراء مع ما اشتملت
عليه من محاورات لطيفة ، وتوريات جميلة ، وإشارات إلى وقائع وأمثال
مشهورة ، وحجج وبراهين كالدرر منتورة . كل ذلك بأسلوب طلي شيق
أخاذ بمجامع القلوب؛ جذاب غير ممل لا يكاد الانسان يأخذ في قراءة واحدة
منها حتى يظن نفسه في مجالس عقد للمناظرة حقيقة ، وأنه يشاهد خصمين
يتحاجان يستمع إلى حججهما حتى إذا ظن أن الحق مع أحدهما قام الآخر
يهدم ما بناه صاحبه ويفند مزاعمه . وهكذا لا يزال يسمع حجة تقرع
حجة : ودعابة تقابل بمثابها ، إلى فكاهات لذيدة بريئة ولا يستطيع قطع
هذا الحلم اللذيذ حتى يأتي على آخر المحاوره فيتبين انها مناظرة مصطنعة
ومخاصمة خيالية وهي إلى ذلك تصور ناحية من نواحي الأدب العربي

اللمتّع، وهى المناظرات التى أنفوا وضعها على السنة الحيوانات والجمادات
فاحببنا تقديمها إلى القراء الكرام طرفة أدبية تضم إلى المكتبة
الحديثة وراينا أن الناشء لا يستقل بفهم بعض مفرداتها اللغوية الغامضة
فشرحنها بتعريفات وجيزة تساعد القارىء على فهم المراد منها ونرجو
أن نكون وفقنا إلى ما أردنا

عزت العطار

مكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة

المحاضرة الأولى

بين السيف والقلم لابن نباتة المصري

قال العلامة تقي الدين بن حجة الحموي أن الشيخ جمال الدين أظهر
في المغيرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل
وانى وان كنت الأخير زمانه لا تيمأ لم تستطعها الأوائل
من ذلك قوله في رسالة المفاخرة بينهما . والمغيرة في مدح كل منهما
وذمه . فبرز القلم بأفضاحه . واشط لارتياحه . وورق من الأناهل (١)
على أعواده . وقام خطيب بحاسنه . في حلل مداده وانتفت إلى السيف قتل :
بسم الله الرحمن الرحيم . ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة
ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وذرعه بالقدم . وخط به ما قدر
وقسم . وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال « جف القلم بما هو كاشف »
وعلى آله وصحبه ذوى الجند المبين . وكل مجد بائن . صلاة واضحة
السطور . فأحة من أدرج الصدور . ما قامت صحف البحار غواذيتها
وكتبت أقلام النور على مبارق (٢) الدياجى حكمة باريتها .

أما بعد : فإن القلم منار الدين والدنيا ، ونظام الشرف والعبايا .
ومجداح (٣) سحب أخير إذا احتاجت الهمم إلى السقيا . ومفتح باب

(١) رؤس الأصابع (٢) : صحف : واحده مهرق يضم الميم ويفتح
الراء . الصحيفة (٣) : المجداح : البوء . وهو ما كانت تعتقده العرب سبباً
للأمطار من شروب نجم وشررق آخر . والمعنى سبب سحب الخير

اليمين المحرب إذا اعبي : وسفير الملك المحجب ، وعذيق الملك المرجب (١)
 وزمام اموره السائرة ، وقادمة (٢) أجنحة الطائرة ، ومطاق أرزاق
 عفاته (٣) المتواترة ، وانملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة ،
 به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل . وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 التي تهذب الخواطر الخواطل (٤) فيبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة
 وحسبه ماجرى على يده الكريمة من منة . وفي مرضى الدول عوننة
 للشائدين . ويعين الله في ليالي النقس (٥) تقاب وجهه في الساجدين .
 ان نظمت فرائد العلوم فانما هو ساكها . وان عات أسرة الكتب
 فانما هو ما كها . وان رقمت برود البيان فانما هو جلالها . وان تشعبت
 فون الحكم فانما هو أمانها ومالها . واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو
 عصمها وثمانها (٦)

وان اجتمعت رعايا السنائع فانما هو امامها المتافع (٧) بسواده .
 وان ذخرت بحار الأفكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده
 وان وعد اوفى بجباب النفع . وان أوعد اخاف كانما يستمد من النقع (٨)
 هذا وهو لسان الملوك المخاطب . ورسياها (٩) لا بكار الفتوح والمخاطب
 والمنفق في نعمير دولها محصول انفاسه . والمحمل أمورها الشاقة على
 عينه ورأسه . والمتيقظ جُهاد أعدائها ، والسيف في جفنه (١٠) قائم .

(١) المهاب العظيم (٢) : القادمة واحدة : القوادم هي عشر ريشات
 في مقدم جذع الطائر (٣) : طلاب معروفه (٤) : الفاسدة (٥) : الخبر
 (٦) : الغياث الذي يقوم بأمرها . (٧) : اللتف (٨) : الانبار
 (٩) : رسولها (١٠) غمده

بالمجهز لباسها وكرمها جيشي الحروب والمكارم . والجاري بما أمر
 الله من العدل والاحسان . والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر
 انسان . طالماذب عن حرمها فشد الله أزره . ورفع ذكره . وقام في
 المحاماة عن دينها اشعث ^(١) أغبر . لو أقسم على الله لأبره . وقاتل على
 البعد والصوارم في القرب . وأوتى من معجزات النبوة نوعاً من النصر
 بالرعب . وبعث جحافل ^(٢) السطور فالقسي ^(٣) دالات . والرماح الفات
 واللامات لامات ^(٤) . والهمزات كواسر الطير التي تتبع الجحافل .
 والأتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل . فهو صاحب فضيلتي
 العلم والعلم . وصاحب ذيلي الفخار في الحرب والسلام . لا يعاديه إلا من
 سفه نفسه . ولبس لبسه . وطبع على قلبه . وقل الجدال من غربه ^(٥)
 وخرج في وزن المعارضة عن ضربه . وكيف يعادى من اذا كرع ^(٦)
 في نفسه قيل انا اعطيناك الكوثر . واذا ذكر شائنة السيف قيل ان
 شائتك هو الأثر . أقول فولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه
 والفخار وكبريائه . وأتوكل على الله فيما حكم . وأسأله التدبير فيما جرى
 به القلم . ثم اكتفى بما ذكره من أدواته ، وجاس على كرسي دواته
 متملاً بقول القائل .

قلم يفل ^(٧) الجيش وهو شرمم والبيض ماسلت من الأعماد

(١) : الرجل مغبر الرأس (٢) : جمع جحفل وهو الجيش (٣) : جمع قوس
 شبه الدالات التي يكتبها القلم بالاقواس (٤) : اللامة : الدرع : وجمعها لامات شبه
 اللامات التي يكتبها القلم بالدروع . (٥) : حده (٦) : شرب الماء بقمه من غير
 إناء (٧) : يكسر

وهبت له الآجاء^(١) حين اشابها كرم السيول وصوله الآسعد
ف عند ذلك نهض السيف قائما عجلا . وتلمظ^(٢) اسانه للقوى .
فرتجلا وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز . أخذت
الذى جعل الجنة تحت طلال السيوف . وشرع حدها في ذوى العصيان
فأغصتهم^(٣) بماء الختوف . وسبد مراتب الذين يقاتلون في سبيله صعد
كأنهم بانيان مرصوص : ووقد مرصوف . واجناب من ورق حديدها .
الأخضر ثمار نعيمها الدانية القحطوف . وصلى الله على سيدنا محمد هازم
الألوف . وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا بريق الصوارم سطور
الصفوف صلاة عاطرة في الأنوف . حالبة بها لاسماع كاشنوف^(٤) وسلم
أما بعد : فن السيف رند الحق الورى^(٥) وزنده القوى . ووحده
الفارق بين الرشيد والغوى والنجم الهادى الى العز وسبيله . والثغر الأيسم
عن تباشير قلوه . به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء . وجلى شخص
الدين الخنفي وقد جمع جفاء . وأجرى سيوفه بالاباطح . فاما الحق فكث
وأما الباطل فذهب جماء^(٦) وحامته اليد النريمة النبوية وخصته على
الأقلام بهذه المزية . وأوضعت به للحق منهاجا . واطاعته فى نيالى
النقع والشبك سراجا وهاجا . وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل

(١) : الحصون . (٢) : دار فى جواب انتم استعداد الكلام (٣) جماعتهم
ينصون (٤) : الاقراط تحلى بها الأذان (٥) : كبر الانقاد (٦) : باطلا

فيه الناس أحوالاً . فهو ذو الرأي الصائب . وشهاب العزم المثلث وسماه .
العزالي زينت من آثاره بزينة الكواكب ، ولحد الذي كأنه ماء
دافق . يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والرائب . لا تجدد
آثاره . ولا ينكر قراره . اذا استمت^(١) في الدجى والقعقار . يجمع
بين الخالتين البأس والكرم . ويبصاغ في طرفي الخاتين فيوماً طوق .
في نحور الأعداء واما خالجه في عراوب أهل النقم . وبحسب به أهواء
الفن المضاة ويحذف بهيمته الجازمة حروف العلة . واذا انحنى في سماء
القتام بالضرب قتل يسألونك عن الأهالة . فهو القوي الاستطاعة الطويل
العمر إذا قصف سواد في ساءة فما أولاده بطول الاحسان وما أجل
ذكره في أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان . كأن الغيث في غمده لا طالب
المنتجع^(٢) وكأنه زناد يستضاء به إلا أن دفع الدماء شرده المتجمع . كبر
قد مد فأدرك الطلاب . ودعا النصر بإسائه المحمر من اثر الدماء فأجاب .
وشعبت الدول لقائم نصره المنتظر . وحازت أبكار الفتوح بحده
الذكر^(٣) وغدت أيامها به ذات حجول^(٤) معلومة وعمر ، وسدت
به الظهور . وحدث علائقه في الأمور ، وأخذته الملوك حرزاً لساطناتها
وحصناً على أوطانها وقطانها^(٥) وجرده على صروف الأقدار في شأنها
ونذب فأعيت عليه المصالح ، ويأثر للمم^(٦) فهو على الحقيقة بين
الهدى والضلال فرق واضح ، وأغاث في كل فصل . فهو اما الغمد سمد

(١) : اشتعات (٢) : طالب الكلاء (٣) : القاطع (٤) : حجول جمع حجل
وهو الخللحال «٥» : سكانها «٦» : صفائر الذنوب

الاخيمية ، واما حامله سعد السمود . واما لضده سعد الذابح . يجلس على رؤس الاعداء قهرا ، ويشرح أبناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل . ما لم تستطع عليه صبورا . وهل يفاخر من وقف الموت على يابه ، وعض الحرب الفروس بنابه . وقدفت شياطين القراع ^(١) بشبهه ، ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه . ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للمارد مصرعا وللراشد ^(٢) مرتعا . ومن آياته يريك البرق خوفا وطمعا . كم اتخذ من جسد طرسا ^(٣) وكتب عليه حرفا لا ينسى . فيه للالباب عبرة . وللأذهان السابحة غمرة ^(٤) بعد غمرة . أقول قولى هذا . واستغفر الله العظيم من لفظ يجمع ^(٥) ورأى الى الخصام يجنح . ولسان يحوجه اللدد ^(٦) الى أن يخرج فيجرح . وأتوكل عليه في صدالباطل وصرفه ، وأسأله الاعانة على كل باحث عن حفته بظلفه . ثم اختفى في بعض الجائل وتمثل بقول القائل :

سأل السيف عن أصل المخار وفرعه فأنى رأيت السيف أفصح مقولا
فلما وعى القم خطبته الطويلة الطائلة ، ونشطته الجليلة الجائلة ،
وفهم كذائته وتلويحه . وتعريضه بالدم وتصريحه . وتعديله في الحديث
وتجزئحه ، استغاث باللفظ النصير . واحتد وما أدراك ما حدة القصير
وقام في دواته وقعد . واضطرب في وجه القرطاس وارتعد . وعدل
الى السب الصراح ورأى أنه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح

«١» : الحرب : «٢» : الذى يطلب المرعى «٣» : صحيفة «٤» : شعدة
«٥» : يتعدى الحد «٦» : الخصومة

فأخرف إلى السيف وقل .

أيها المعتز بطبعه . المغتر بأمعه . الناقض حبل الانس تقطعه . الناسخ
بهجيره من ظلال العيش فياً ^(١) السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى
إذا جاءه لم يجده شيئاً . الحبيس الذي طالما عادت عليه عوائد شره الكمين
الأبليس الذي لو أمر لي بالسجود لقال خذتني من نار وخلقته من طين
اتعرض بسبي . وتعرض لمسكائد حربي . ألتست ذا الخدع البالغة والحرب
خدعة . والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى إلا نام نغمه . ألتست المسود
الأحق بقول القائل .

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الجود والاقداما
أفأخرفني وأنا للوصل وأنت للقطع . وأنا للعطاء وأنت للتمنع .
وأنا للصالح وأنت للضراب . وأنا للعمارة وأنت للخراب . وأنا للمعمر
وأنت المدمر . وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد . وأنت العايب وأنا
المجود ^(٢) ومن أولى من القلم بالتجويد . فما أقبح شبيهك وما أشنع يوماً
نرى فيه العيون وجهك . أعلى مثلي يشق القول ويرفع الصوت والوصول
وأنا ذو اللفظ المسكين . وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى « أو ممن
ينشأ في الحاية وهو في الخصام غير مبين » فقد تعديت حدك . وطلبت
مالم تبلغ به جهدك هيئات أنا المنتصب لمصالح الدول . وأنت في الغمد
طريح ، والمتعب في تمهيدها وأنت غافل مستريح ، والساهر وقد مهد
ملك في الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره . فأى

الحالتين أرفع. والساعى في تدبير حال القوم، والمدنى نفعهم العمر إذا كن
 تفعلك يوماً أو بعض يوم. فاقطع عنك أسباب الفخرة. واستر أنيالك
 عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاوراة المصيح. والله يعلم المفسد من
 المصاح. على أنه لا ينكر لمثلك التصدى. ولا استغرب منه على مثلى
 التبعدى. ما أنا أول من أطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان
 إليه. أو لست الذى قبل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الخجاج فى الحرم
 قد سلبت الرحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وجلبت القسوة.
 فكم هيجت سبة^(١) حمراء وأثرت دهما. وخمشت^(٢) الوجود وكيف
 لا وأنت كالظھر كونا^(٣) وفضعت اللدات ولم لا وأنت كالصبيح لو نا
 أين بطشك من حامى. وجهلك من عامى. وجسمك من جسمى.

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب وذلك جسمى وجسم صيغ من بهق^(٤)

أين عينك الزرقاء من عبنى الكحيللة. وزؤيتك الشنعاء من رؤيتى
 الحميلة. أين لون الشيب من لون الشباب وأين ندير. الأعداء من رسول
 الاحباب. هذا وكم أكلت الاكباد غبظاً وحميت الاضغان قيظاً^(٥)
 وسكوت الصدا فسقيت ولكن بشواظ من نار وأخنت عايك.
 الأيام حتى اتعل بإعاضتك^(٦) الحمار. ولولا تعرضك الى لما وقعت فى
 اللقت، ولولا إساءتك لما كنت تعقل فى كل وقت. فدع عنك هذا

«١» عاراً «٢» حرحت «٣» حلقة وهياة «٤» بياض يعتدى الجلد يشبه البرص
 وليس منه (٥) شدة الحر ٦ : احزائك

الفخر . ونأمل وصفي إذا كشف عنك الغطاء مبصرك اليوم حديد .
وافهم قول ابن الرومي .

ان يخدم القلم السيف الذي خصعت له الرقاب ودانت خوفه الأئمة
فالموت والموت لأشياء بعادله مازال يابح مايجزى به القلم
بذا قضى الله في الأولاد إذ برت . ان السيوف لها مذا رهقت خدم
فعند ذلك وثب السيف على قلبه ، وكاذ الغضب يخرج به عن
حده وقال .

أبها المتناول على قصره : والمأشى على طريق غمره . والمتعرض
منى إلى الدمار ، والمتحرش بي فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس
بالتار . لقد شممت عن ساقك حتى اغرقتك الغمرات ^(١) وأتعبت نفسك
فما لا تدرك الى أن أذهبها النعب حمرات . أولست الذي طالما راعش
السيف للهبية عظمك ^(٢) وبكس للخدمة رأسك وطرفك . وأمر
بعض رعيته وهو السكس فنتاع قهاك . وشق أنفك . ورفعت في
مهمات خاملة وحطك . وجذبت الاستعمال وقطعتك . فليت شعري
كيف جمرت وعبست على مثل وبسرت ^(٣) وأنت السوقة وأنا
الملك . وأنا الصادق وأنت المؤتفك . وأنت لصون الخطام ، وأنا
لصون الممالك . وأنت لحفظ المزارع وأنا لخط المسالك . وأنت للفلاحة
وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل ^(٤) من نفسه . وأنا سارى الصباح . وأنا

(١) الشدائد (٢) عطف كل شيء جانبه ٣ بمعنى عدوت ٤ يقال لمن

الباصر ، وأنت الأرمـد . وأنا المخدم الإبيض وأنت الخادم الاسود .
وأقسم بمن صير في قبضتي أنواع اليمين ^(١) المسخرة . وجعل في شخصك
وشخصي كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة » إنك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة ، وعن
برى كفى لاخيب طلبية فأنى لأنكر قول بعض أربابك حيث قالوا

أف لرزق الكتبة أف له ما أصعبه
ير تشف الرزق به من شق تلك القصبه
يا قلما يرفع في الطرس لوجهى ذنبه
ما عرف المسكين الا كتبيا ذا متربه

إن عاينت الديوان وقعت في الحساب والعذاب ، أو البلاغة سحرت
وبالغت فانت ساحر كذاب ، أو نفرت بتقييد العلوم فاللك منها سوى
لمحة الطرف . أو برقم المصاحف فأنتك تعبد الله على حرف ، أو جمعت
عملا فانتا جمعك للتكسير . أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا
وهو حسير ، وهل أنت في الدول الاخيال تكنتى بهمم بطيفه أو أصبغ
يلعق ^(٢) بها الرزق إذا أكل الضارب بقائم سيفه . وساع على رأسه
قل ما أجدى . وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقفوا كدى أين
أنت من حظى الاسنى وكفى الاثنى ، وما خصصت به من الجوهر
الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الاذنى كم برزت فمأغنيت في مهمة
وكم خرجت من دوانك لتسطير سيثة نخرجت كما قيل من ظلمة الى

ظلمة ؛ وهب انك كما قلت مفتوق اللسان . جرى الجنان . مداحل (١) بمخليك بين ذوى الاقتناص ، معدود من شياطين الدول وأنت في الطرس والنقس (٢) بين بناء وغواص ، فلو جرئت خافى إلى أن تحنى (٣) وصحت بصيرك الى أن تحفت وتحنى : فما كنت منى الا بمنزلة المدرة (٤) من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمعجزى فانك ممن يمين (٥) ولا تحاف لها أن تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك أن تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقاً وتسلم من نار حرقاظى لا يصلها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيتك الا الاصرار وأبت حصائد اسانك الا أن توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصرة ولا جمع عقارب ليل نفسك التى ان عادت فأن نعال السيوف لها حاضرة ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبى تمام

السيوف أصدق أبناء من الكتب فى حده الحدين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

فاما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذى أخرجته وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى أنه هو البادى بهذه المناقشة : والبادى أظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراءه وعلم أن الدهر دهره . والقدر على حكم الوقت قدره وانه أحق بقول القائل

(١) : مخادع (٢) : الورق والحبر (٣) : حفى رقت قدمه أو حافر من كثر المشى (٤) : قطعة من الطين «٥١» : يكذب

خُذْهَا مَعْرَبٌ وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا . . ان اعراب غيرها ما يحون

فالتفت اليه وقال :

أيها الماتهب في قنحه واخراج عما نسب اليه من صفحه ما هذه
 الزيادة في السباب والتطفيف^(١) في كبل الجواب وأين علم الشيوخ
 عند جيل الشباب أما كان الاحسن بك أن تترك هذا الرفث^(٢) وقم أخاك على
 الشعث وتحير كما زعمت أنك السيد وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد أما
 تعلم اني معنك في تشبيد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك
 أما أنا وأنت للملك كليدين وفي نشييده كالركنين الاشددين وما أرا لئ
 عبتني في الاكثر الا بنحول جسمي الذي ليس حلقه على وضعفه
 الذي ليس أمر دالي على أن أسهب الخصور أنحفها وأقوى الجفون أضعتها
 . بواز كى السميات أعياها وأدنفها ، وهذه سادات العرب . تعد ذلك من
 فضلها الأظهر . وحسنها الأشهر . ولو أنك تقول بالفصاحة . وتقف
 في هذه الساحة . لاسمعتك من أشعارهم . واتحفتك بما يهخرون به من
 آثامهم . وكذلك عيبك سواد خلقتي التي أكسبها الحب حاية صبغت
 صبغة حب القلوب والحدق . فيالله . وباللحجر الأسود من هذه الحجة
 البائرة ، والسكره الخائرة . وعلى هذه النسبة ما عبتني به من فقر
 بالأنبياء . وذل الخكاء . على أن اطلاقات معروفى معروفة . وسطوات
 أمرى في وجود الاعداء المكسوفة مكشوفة . فاستغفر الله مما فرط
 في مقالك . والتفويض من عوائد احتمالك . فلا تشمت بنا الأضداد .

ولا تساط بفرقتنا المفسدين في الأرض أن الله لا يحب الفساد. واغضض
الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا نشك أنى قسيمك ولو قيل لك
ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض. وأن أبيت إلا أن تهدد وتجرد الشغب
وتجدد. فاذا كرر محلنا من اليد الشريفة الساطانية. الملكية المؤيدة.
أيد الله نعمها. وجازى بالاحسان شيمها. وأيقظ في الآجال والآمال سيفها
وقامها. ولا عطل مشاهد المدح من أنسها. ولا أخل فرائض البأس والكرم
من قيام خمسها^(١) فاقسم بمن بأسه بالليل وما وسق. ومن بشرطاعته
بالقمر اذا انسق. لو تجاوز الأسد والظباء بتلك اليد لوردا بالأمن في
منهل. ورتعا في روض لا يجهل. ولو لجأ إليها النهار لما راعه بمشيئة
الله الليل بزجر. أو الليل لما غاب على خيطه الأسود الخيط الأبيض من
الفجر. وعلى ذلك فما ينبغي لنا بين تلك الأنامل غير سلوك الأدب. والمعاضدة
على محو الأزمان والنوب. والاستقامة على الحق ولا عوج. والحديث
من تلك الراحة عن البحر ولا حرج. هذه نصبت حتى إليك والدين النصيحة
والله تعالى يطالعك على معاني الرشد الصريحة. ويجعل بينك وبين ألغي حجبا
مستورا. وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطوراً

فعند ذلك نكس السيف طرفه وقيل خديعة القلم قائلا :

لأمر ما جدع قصير أنفه وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان

السيوف معروفة بالخالل ثم قال :

أيها الضيف الجبار البازغ في ليل المداد نجماً وكم في النجوم غرار. لقد

تظلمت من أمرا أنت البادىء بظلامه وتسورت^(١) إلى فتح باب انت السابق الى
فتح ختمه . وقد فهمت الآن ماذا كرت من أمر اليد الشريفة . ونعم ماذا كرت
وأحسن بما أشرت . وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن
قولك الاحسن . ورددتلك إلى أمك الدواة كى تقر عينها ولا تحزن . وسألت
الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العالوية تماما على الذى أحسن فانها اليد التى

لواثر التقبيل فى يد منعم لمحا براجم^(٢) كفيها التقبيل

والراحة التى

تسعى القلوب لغوثها ولغيشها فيجيبه التأمين والتأميل
والأنامل التى علمها الله بالسيف والقلم ، ومكبتها من رتبتى العلم
والعمل ، ودارك بكرمها آمال العفاة بعد أن ، ولا ، ولم . ولولا أن هذا
المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل . ومجده الذى اذاجر
ذيله ودّ الفضل . لو تمسك منه بالفضل لاطلت آلان فى ذكر مجدها
الواضح . وانصحت فى مدحها ، ولا ينكر لمثلها ان انطلقت الصامت
فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد . والمجادلة التى عز أمرها
على الحديد ، اقررت أنت اننا لاملك كاليدىن ولم تقراينا اليمين ، وفى
آفاقه كالقمرين . ولم تذكر أيننا الوضاحة الجبين ، وما يشفى ضناى ويروى
صدائى الا أن يحكم بيننا من لا يرد حكمة . ولا يتهم فهمه ، فيظهر أيننا
المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ، ويقصر عن القول المناظر
ويستريح المناضل . وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت

(١) تسور الحائط : تسلقه (٢) عقد الاصابع

الى يده الشريفة. وتوسلت بحاسنها اللطيفة : فانه مالك زمامنا. ومثىء
غمامنا (١) ومصرف كلامنا. وحامل أعبائنا الذي ماغوى للهوى. وصاحب
أمرنا ونهينا : وتالله ما ضل صاحبكم وماغوى : ليفصل الأمر بحكمه ،
ويقدمنا الى مجاسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه : فقدم خيرة الله على ذلك
الاشتراط وقل بعد تقبياننا الارض له فى ذلك البساط : خصمان بغى
بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا اشطاط واهدنا الى سواء الصراط.
فنشط انقلم فرحا : ومثى فى أرض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب
وخر راكعا وأتاب وقال سمعا وطاعة وشكرا لله على هذه الساعة ...
«يا بر د ذلك الذى قالت على كبدى» الآن ظهر ماتبغيان . وقضى الأمر
الذى فيه تستنتيان : وحكم بيننا الرأى المنير ونبانا بحقيقة الأمر ولا
ينبتك مثل خبير : ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به الملاك ،
وكانوا أحق بها وأهائيا . وانتبه المملوك من سنة فكره . وطالع بما
اختلف سواد هذه الليلة فى سره والله تعالى يديم أيام مولانا الساطان التى
هى نظام المتأخر : ومقام المآثر . وغوث الشاكي : وغياث الشاكر ،
ويمنع بظلال مقامه الذى لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر
ما هو كسر ان شاء الله تعالى

المحاوراة الثانية

بين النرجس والورد

للشيخ الاديب العلامة أبي الحسن علي بن محمد المارديني

قال الشيخ :

الحمد لله الذي أنبت في رياض^(١) الخدود وردة الخجل . وزين
أغصان القدود بنرجس حسن المقل . واوضح لدوى الادب سبيل البلاغة
فاتضح . واستجلوا من وجوه المعاني عيون المالح . والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين . يقول غير متابس وعلى الآل
والاصحاب ما خجلت خدود الورد من نغازل عيون النرجس وبعد :
فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا . وألطفها شكلا
وأطيبها عرفا^(٢) وقد اختلف بينهما في التفضيل . وأيهما اذا حضر كان
لبيت البسط تكميل . متاتهما كالمخصمين في المناظرة واستنطقت اسان
حالمها على سبيل المحاضرة فقال الورد .

الحمد لله الذي انزل في محكم القرآن « فاذا انشقت السماء فكانت وردة
كلدهان » والصلاة والسلام على نبيه محمد المبعوث الى الاسود والاحمر
الذي نسخ بشريعته البيضاء ملة بني الاصفى . وبعد فان الله تعالى فضانى
على سائر الزهر بأرفع المراتب . فوجب على شكر نعمته وشكر النعم
واجب . فبي تتجمل المجالس والمحافل . كفانى الله عين حسودى فاروض

« ١ » جمع روضة . البقعة الخضرة بأنواع النبات « ٢ » رائحة

ما كفى . والزهر جنودى . وما فيهم من فرح فى اعلامى الساطانية .
وكيف لا يطيعونى وشوكتى فيهم قوية

فازورت احداق النرجس وقام على ساقه فى النجاس وقل :

اقسم بمن انزل فى كتابه المبين . صفراء فاقع لونهاتسر الناظرين .
وحق محمد المحمود الذى اوحى اليه قتل اصحاب الاخدود (١) . لقد
مدحت نفسك بالكمال مع نقصك . وما جررت النار الا الى قرصك .
أتعيرنى بالاصفرار وهو لون التبر (٢) اذا انسبك . وتفتخر على بالاحمرار
فما احمر ك . فتأدب فى مقالك . واذا كر سرعة زوالك . واحفظ حرمتك
والا كبرت شوكتك .

فقل الورد :

ويلاك ما أقوى عينك وأكثر مينك (٣) أتجعل مقامك مقابى
وأنت من بعض خدائى ، ولو لم تكن قابيل الحرمة ما كنت جالسا وأنت
واقف فى الخدمة . ألك منلى حسن منظر ومخبر . أما سمعت أن الحسن
أحمر وان عيرتنى يقتصر مدتى فقد استبنت عنى بخايفتى ولم يزل جمال
المقامات . ومن خاف مثله مامات . أتحسب محاسنى مثل حاسنك متناهيمة
وكيف ينقطع عملى ولى صدقة جارية ، فستان بينى وبينك ، وان لم تاتمه
عن جدالى قلعت بشوكتى عينك وانشد لسان حاله شعرا :

لجمال وجهى تشخص الأَبصار ولعز مجدى تخضع الازهار
لى بهجة وردية فى وجنتى ولها من ورق الجديده عذار

«١» الاحدود حفرة مستطيلة «٢» التبر: الذهب قبل الضرب «٣» مينك: كذبك

وملابسى من سندس فتق الشذا^(١) أكمامها فانقضت الازرار
فكأنتى هذا الحبيب اذا بدا نشوان^(٢) قد دارت عليه عقار
لاغرو انصرف المحب على حيا ة فكم فى وجنتى دينار
حرى غدا لذوى الخلاعة آمنة من حوله تتخطف الابصار
ولى المهابة والبهاء وأنت من حسد وغيظ قد علاك صفار
ماشائى فصم الزمان ولا يرى لك فى لياليك الطوال فخار
اكن ايامى مرور كلها وكذلك أيام المرور قصار
فقال النرجس :

يا قليل المودة . ويا قصير الودة . أين العيون من الخدود ؟
وأين الجاني من الودود . ؟ أنا أوفى عيماقى ومن بزرنى أجاسه على
أحدائق . فيقول لي من أفضت عايه السرور فيضاً . لقد أكرمت
ضيفك . فعليك الراية البيضاء . وأنت طالما جنى سوكك على من جناك
فزقت عذاب النار . ذلك بما كسبت يداك . سرقت لون الحبيب .
ونسرت بالورق فقطعوك والقطع حد من سرق . واستقطر وادمعك
واذا قوك الحرق . وقيل لتركبن طبقاً عن طبق . وأى فخر فى احمرارك
الشريق^(٣) وكم بين التبر والعقيق . فلا تبهرج زيفك على خالص
اللجين^(٤) وارجع عن المناظرة فاجئتك الا بعين هذا ولى فى السبق

«١» الشذا: الرائحة الطيبة «٢» نشوان: سكران

«٣» يريد الاحمرار الذى يخالطه شىء من الصفرة فلا يكون خالصاً الى حمرة

ولا الى صفرة «٤» اللجين: الفضة

قصبات . وكم جلوت صداع القلب بطيب النفحات . واذا وفد جيش
الزهر فلي في طلائعه عيون . والسابقون السابقون . اولئك المقربون
وانشد .

فقت الزهور جميعها بتقدمي فانا المقيم على الوفا يامتحمي
أدعو الندامى للمسرة والهنا وكما علمت شمائي وتكرمي
وأق الجايس بناظري وأروقه حسنا وساقى في يديه ومعصمي
واغض طرفي ان خلا بحبيبه وأصون سر العاشق المتكتم
واذا غفا المحبوب كنت لحفظه خوفا عليه من الديدب المجرم
واغازل الاجفان وهي نواعس والى تشبيه اللواحظ ينتمى
وترى حجيج الالهو حولي طائفا وجميع أيامي ككيوم الموسم
أين العيون من الحدود نفاسة لولا فساد قياس من لم بعلم
فأفهم وكن عن رتبتي متأخرا واعلم بأن الفضل للمتقدم
فأحمر خد الورد والتهب . وظهرت في وجهه صورة الغضب وقال

ياقوى العين . ويالون اللجين ، خل عك الحماقة ولا تدخل في
باب مالك به طاقة ، فاقد استحققت المقت . ولا أبالي بك ولو برقت
كيف تفاخر بصفارك حمرة الحدود ، ومن أين لبياض أجفانك المغازلة
للعيون السود ، اتناظر بعماشك ^(١) عيون الملاح . ما أنت يا عيون
الرجس إلا وقاح ، أتعيرني بحسن الابتلاء وهو الأفضل ، وقد قال
صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء » الأمثل

« ١ » العماش: ضعف البصر مع سيلان الدمع

قالاً مثل طالما ابتليت فصبرت ، وشكوت حالى بل شكرت ، أبيت
 بزفرة لا تحمد ، وادمعى تتحدر ، وانفاسى تتصعد . احبس بلا ذنب .
 واءصر فتجرى دموعى وماهى الا مهجة تذوب فتقطر ، وماضرا ابراهيم
 القاؤه فى نار النمرود ، ولا سان يوسف سجنه مع فضله المشهود . مع
 انى طالما لثمت الثغور والاعناق ، وفزت بالشم والضم والعناق ، زكمنى
 الاصل والفرع . ولا انزل بواد غير ذى زرع ، واقسم ببديع حسنى وتسبيح
 أوراقى ، وسموى عن مراعاة التطير^(١) بتوجيه طباقى . ما أنت مجانىسى
 فى المقابلة ، ولا موازنى فى المشاكلة . ولا لاحقى فى الطى والنشر ، وأنا
 سيد زهر الربيع ولا فخر ، فلا تطل الشقاق والنفاق ؛ لا بد لك من
 الوقوف فى خدمنى ، ولو قامت الحرب على ساق . وأى فضل لك فى التقديم
 وكم بين الحبيب والكليم^(٢) وان أردت كشف التابيس^(٣) . فتفكر
 فى فضل آدم على ابايس . وكم بين الشمس والنجوم . مامننا إله مقام
 معلوم ، وهل انت الا من بعض جنودى . والمبشرين بورودى ، وأنا
 هنك بالفضل أولى . وللاخرة خير لك من الاولى وانشد

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئاً وانا ما انقصت بالتأخير
 بيننا فى القياس فرق لطيف مثل ما بين يوسف والبشير^(٤)

نحدثى الترجس وحولق . ورفع رأسه بعد أن أطرق وقال :

افتخرت بأنارك فايدست العين كلاثر ، وان كنت مباشر الثغور

« ١ » التطير : التشاؤم (٢) الحبيب والكليم : يريد سيدنا محمد او سيدنا موسى
 عليهما السلام (٣) التلبيس التديس أو التخليط أى ان اردت الحقيقة (٤) يريد بالبشير
 ﷺ

فانا لى حسن النظر : مع انهم ارضوا بك فى التسعير . وما عصروك
الا عن ذنب كبير . ولو لم تكن من المتمردين الانجاس ما حبسوك فى
مقام النحاس . انت فى افتخارك كما قالت الحـكـماء . انف فى الماء واست
فى السماء . تتطفل على الموائد . ولا تصبر على طعام واحد . واقسم بقدى
الرشيق ولونى الشريق^(١) وبياض صحائفى . واخضرار سوائى . لئن لم
تصن بهجتك المسبوكة . وتستر فضايحك المهتوكة . لا قطعن طرقك
المسلوكة . واجعلن حرفتك متروكة . ولا اترك لك فى عصابة الازهار
شوكة . واذيقك عذاب الهون . اتعينى وكلك عيوب وكلى عيون . انا
طبعى الوفاء . وانت طبعك الغدر . وانا اول من تنشق عنه الارض .
من الزهر . ولا فخر . ولولا خشية التطويل عددت معائبك على التفصيل
ولكن شيمتى غض الطرف فى المجاس . وما احسن الغض من النرجس
وان تشبهت بالشمس انا بكسوفك شمات . وان كنت من السيارة
فانى من النجوم الثوابت ، وشتان بين طالع و آفل . وكم بين مقيم
وراحل . وان لم ترجع الى السكينة والوقار لا ريك النجوم بالنهار . اين
فيضان الزمرد من شوكة القتاد^(٢) وكم بين مرید ومراد : واقسم بمن
زين السماء بزينة الكواكب . ان لم ترجع لأرمينك بشهاب ثاقب .
واساط عليك رجوم نجومى واقول مضمنا قول ابن الرومى وانشد
عجبت للورد اذ وفى بناظره وزاد فى تقوله عجبا وفى شططه
يبدو وطيائه من حول حمرته كصرم بغل وبقى الروث^(٣) فى وسطه

(١) الشريق: الحسن المشرق (٢) القتاد: شجر صلب له شوكة كالا بر (٣) الروث: الزبل

فنجبل خد الورد حتى كاله من الطل^(١) العرق . وكاد خوف
الفنيحة يتستر بالورق . ثم انه استشاط كمن اطلق من عقال . وسطا
على النرجس بشوكه وقال .

يانفاضة المحافل . ولفاظلة المزابل . كم بين مهتوك ومصون .
ومتروك ومخزون . فجبل القضية انك راجل وأنا فارس . وتقوم في
الخدمة وأنا جالس . ولولا فجورك وقوة الحدقة ماجئت تراحمي في الطبقة
فقال النرجس :

أنا عيون المجالس . وشموع المجالس ، وانيس النديم وقد خلقتني الله
في احسن تقويم . من أين لك اظني ودلالي . وقد فاتك ليني واعتدالي
وبني تشبه عين الحبيب فاعلم . ولأجل عين الف عين تكرم وكثيرا
بينك وبينى . وان عدت الى مثلها سقطت من عيني

فقال الورد :

والذي خالق الانسان من عاق . والبس الخد حلة الشفق وخرج^(٢)
الوجنات بحمرة الخجل . ودبج بالتوريد مواقع القبل . لقد جزت في
القول حدا . ولقد جئت شيئاً اذا . تريد أن تميز نفسك بتقوبها . وانما
الاعمال بخواتيمها . انا خد الحبيب نصيبي . والراح يتلمس ويتمسك
بذيل طيبي . أتشك في أن أحسن صفات الادم الوردية . لقد تفتت
قلبي من عينك القوية . أتروم تغطي فضلي بغضا منك وسخطا . اما
سمعت في الامثال أن الشمس ماتتغطي وانشد

(١) الطل: المطر الخفيف (٢) خرج: حمر

أنا والراح للأرواح راحه
 وأتعمى عن عيوبك اذ ترانى
 وكم فى قبض ساقى بسط وراحه
 بعين النقص ماذا الا وقاحه
 فقال النرجس :

والذى زين العيون بالدعج^(١) وارساها فى فترة الاجفان الى المهج
 وفضل الانسان بالعين والعين بالانسان . وكحل بفنون السحر فتور
 الاجفان . ان لم ترجع عنى لاجردن سيفى من جفنى واطيح رأسك عند
 قدمك واخضبك بدمك ومن أنت فى البين وقد أصبح فضلى عليك فرض
 عين تحاربنى وجيادى السوابق . وتناظرنى ونواظرى أحداق الخدائق
 . وفى فتور اجفانى من السحر فتون . أتشك فى أن الملاحه فى العيون وانشد

أنا ما بين أصمى أبى بعين
 وفى من الملاحه كل فن
 وفضلى راجح والورد دوتى
 بدع والملاحه فى العيون
 فقال الورد :

أين السهل من الممتنع . وكم بين المتفرق والمجتمع . انت تبذل نفسك
 فتهان . وأنا اعز بصيوني^(٢) عن ملامسة الندمان . وانت رقيب على
 العشاق فى المجالس الطيبة . واذا رميتهم بعينك يقولون ماذا الا مصيبة
 أناذو الوجه الاقر . والحد الازهر . واذا تأملت عيونك اذاهى بالساهرة
 كيف تناظرنى ولى وجوه يومئذ ناظرة . الى ربها ناظرة . وانت قد

(١) الدعج : سعة العين مع سوادها . أو شدة سوادها مع شدة بياضها

(٢) أى انى عزيز الجانب لأنى أصون نفسى عن ملامسة الندمان وانت تبذل

ضربت عايك الذلة . وما اصفر ارك الالعله .

فقال النرجس :

ياقاييل الوفاء ، ويا كثير الجفاء . لم تعلم ان التخاييق بالصفرة من امارات النصره . وقال جماعة من الحكماء ان من أنحس الاشكال الحمرة فقال الورد .

هذا لوني مدكنت في أحشاء الاكمام مضغعة . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .

فقال النرجس : وهذا فضلي من الشواهد .

فقل الورد : ما يصفر منا الا الخاسد .

فقال النرجس : لم تزل عين كل شيء أحسنه .

فقال الورد : لا تستوى السيئة ولا الحسنة .

فقال النرجس : ذهبيت منك الحجة . واتضعت لي المحبة . فانا على

المقدور ولي الفضل الا اهد بحضوري في مقام المقر الشهابي احمد . وانا المؤيد بفضل ظاهر لا يختفي بحضوري في حضرة مولانا قاضي القضاة الحنفي .

فقال الورد . وهذا مما يؤيد كلامي . ويرفع في الفخر مقامي . فكلم

بلغت بحضرة المخدوم مقصودي ولم يزل الى المنهل العذب ورودي

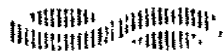
قال الراوي : فما رأيت كلا منهما قد جاء في حجته بالبرهان والدليل

ولم يتضح لي أيهما أحرى بالتفضيل . وضائق علي في الفرق بينهما المسالك

ودأيت مالكي بالمدينة فلم يجز لي افتي وفي المدينة مالك . لانه فريد

عصره في عامه وآدابه . وهو الذي يفضّل يمتنا بفصل خطابه . كيف
لا وهو شهاب له في ذلك المعالي ارفع المراتب . ومن يسترق السمع
يتبعه شهاب ثاقب

شهاب رقى بالسعد في ذلك العلي وعاد بفضل منه والعود احمد
فن شافعي والوجد في قاب ثابت سوى مالكي كنز الفضائل احمد
وما أنا في اهداء هذه النبذة اليه . وعرض بضاعتى المزجاة (١)
عليه . الا لمن اهدى الى البحر قطرة . أو اتحف الروض بزهره . وهو
ذو الصفات التي فاقت على الراح والحبيب رقة ونظماً . وناظرت فعل
المدام فكانت افعالها أسما . فقات لله در من سجع . ما افصح اسانه ،
واباغ بيانه . فنقد احرز قصبات السبق في ميدان الكلام واني بما يعجز
عنه الفضل والنظام



المحاورة الثالثة

بين القنديل والشمعدان

للمولى الفاضل البارح تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

ابتدأها بأن قال

الحمد لله الذي انار حالك الضلماء: بأنوار بدر السماء، وحنى جيدها بعقود
النجوم . وحرس مشيدها بسهام الرجيم وجعلها عبرة للاستبصار ؛
ونزهة للابصار ، غشاؤها لازورد مكلل بنضار {١} أو أقاحي {٢} جميلة
تفتحت فيها أزهار الازهار . تهدي السارى بسواريتها ، وتزرى بالدر
أنوار داريها . كرع {٣} في نهر مجرتها النسران . ورفع في مراعى
رياضها الفرقدان

احمده على نعمه التي لا يقوم بشكرها لسان . ولا يؤدي واجب
حقها انسان حمدا يجاب الى الحامد أنواع الاحسان . ويسوق الى
الشاكركر كائب الخيرات احسان . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذي أنار
الله بوجوده ظلمة الوجود ؛ واظهر بظهوره أفعال الركوع والسجود صلى
الله عليه وعلى آله الوافين بالعهود . وعلى أصحابه اهل الافضال والجدود
صلاة وسلاما دائمين الى اليوم الموعود

وبعد فان فنون الآداب كثيرة الشعوب {٤} متباينة الأسلوب،

(١) الذهب (٢) جمع اقحوان . وهو البابونج نبات طيب الريح حوالبه ورق

ابيض ووسطه اصفر (٣) الكرع : الشرب بالفم بلا استعمال يد او اناة

(٤) الشعوب: التفاريع

طلالما تلاعب الأديب بفنونها بين جد ومجون ، وكيف لا والحديث ذو شجون ، وكنت بحمد الله ممن هو قادر على إبراز مآج الأدب . وعلى اظهار لطائف لغة العرب . فتمثل في خاطري المفاخرة بين الشمعدان والقنديل ، ولا بد من إبراز المفاخرة بينهما في أحسن تشيل . لأنهما آلتا نور ، ونديما سرور طالما مزقا جلاباب الدجى باضوائهما ، وحسما مادة الضامة بانوارهما ، وطلعا في سماء المجالس بدورا ، واخجلا نور الرياض لما اصدرنا من جوهرها نورا . سما كل واحد منهما الى أنه الأصل . وان بمدحه يحسن الفصل والوصل ، وانه الجوهرة اليتيمة والبدره (١) التي ليست لها قيمة ؛ سارت بحاسنه ركائب الركبان ، ونظمت في جيد مجده قلائد العقيان ، فاحببت أن أنظمهما في ميدان المناظرة . ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة ، ويظهر نقائص صاحبه الفاضحة ؛ وليتسنم غارب (٢) الاستحقاق بالفضيلة ؛ ويؤكد في تقرير فضائله الراجعة دليله ، مع انه لا تقبل الدعاوى الا بالبرهان ولعمري لقد قيل قدما :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

(١) في الاصل الكمية العظيمة من المال . أو عشرة آلاف درهم والمراد هنا الشيء النفيس (٢) ما بين السنام والعنق

فاتلع (١) الشمعدان جيده للمطاولة ؛ وعرض سمهريه (٢) الاجينى
للمناضلة وقال :

استنت الفصال حتى القرعى (٣)

لست بنديم الملوك فى المجالس ؛ كلا ولا الروضة الغناء للمجالس
طلما احدثت بى وساكر النظار ، ووقفت فى استحسان هيا كلى
رؤية الابصار . وحمت على الرؤوس اذا عاقت بأذانك . وجايت
كحلاء المرهفات (٤) اذا اسود وجهك من دخانك
فنضنض (٥) لسان القنديل نضنضة الصل (٦) وارفع ارتفاع البازى
المطل وقال :

ان كن نخر ك بمجالسة السلاطين ؛ فافتخارى بمجالسة أهل
الدين ؛ طالما طاعت فى افق المحراب نجما ازداد علا ؛ وازدانت الاماكن
المقدسة بشموس انوارى حلا . جمع شكلى مجموع العناصر ؛ فعلى مثلى
تعقد الخناصر . يحسبنى الرأى جوهرة العقد الثمين اذا رأى اصفرار
لونك كصفرة الحزين ولقد علوتك فى المجالس زمانا ومن صبر على
حر المشقة ارتفع مكانا .

(١) اتلع : اى رفع (٢) سمهريه : رمحه الصلب

(٣) مثل يضرب للذى يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يده لجلالة قدره
استنت : أى لعبت وركضت من النشاط : الفصال جمع فصيل : ولد الناقة . القرعى
جمع قريع : الذى اصابه القرع من الفصال (٤) : السيف المرهف : الرقيق الحد
القاطع يصف العيون الكحيلة بانها سيوف قاطعة (٥) تحرك (٦) الحية التى
لا تنفع منها الرقية

فنظر اليه الشمعدان مغضبا وهم بأن يكون عن جوابه منكبا وقال:
 أين ثمنك من ثمتي . ومسكنك من مسكني ؟ صفأحني صفحات
 الابريز (١) فلذا سموت عليك بالتبريز (٢) تنزه العيون في حمائل الذهبية
 وتسر النفوس بزوغ أنوارى الشمسية . ولا يملكنى إلا من أوطنته
 السعادة مهادها (٣) وقربت له الرياسة جياها ، ولقد نفعت في الصحة
 والسقم . وازدادت قيمتى اذا نقصت فى القيم . ان انفصمت عراك
 فلا تسعب ، ولا تعاد الى سبك نار فتصب وتقلب . لست من فرسان
 مناظرتى ، ولا من قرناء مفاخرتى .
 فالتفت القنديل التفات انحرغام ، وفوق (٤) الى قرنيه سهام الملام . وقال .
 لانت عندى كشماله ، لا محاله ، طالك العنقود فبرزت أنواع الحقود .
 وأين الثريا من يد المتناول . أم اين السها (٥) من كف المتناول ، تالله
 انك فى صرفك (٦) بصفرك مغلوط . لقد خصصت بالعلو ، وخصصت
 بالهبوط . ترى باطنى من ظاهرى مشرقا ، وتخالنى لخزائن الانوار
 مطلقا . فحديث سيادتى مسلسل . وتاج فضائلى بجواهر العلو مكامل .
 فاحظه الشمعدان بطرف طرفه وأرسل فى ميدان المناظرة عنان
 طرفه . وقال :

(١) : الابريز : الذهب الخالص . (٢) : التبريز : السبق . يقال برز انمرس
 تبريزا أى سبق الخيل فى الميدان . (٣) مهادها : الفراش . يريد من سهلت له
 السعادة أسبابها . (٤) فوق : يقال فوق السهم . جعل له فواقا (موضع الوتر
 من القوس) يريد هياها ليضرب به (٥) السها : كوكب خفى يمتحن الناس به
 أبصارهم . (٦) أى فى تزويق الكلام لاثبات فضلك .

ان افتخارك بالعلو غير مفيد . ومزية اختصاصك به ليس له
أبهة مزيد . طالما علا القتام (١) . وانحط الفرسان ، ومكث الحجر
وسما الدخان . ولقد صيرتك كنظر المشنوق حاله . وكضوء السهابة ،
وأنت الخالق بما قيل .

(وقاب بلال : واذن بلا سمع)

وسلاسلك أشعر بعقك . وعارك ينبى عن غاو اسقاط كملك .
عادمت التبر كفة بكفه . ووزنته اذ كان فيه خفه . فاصخ لماخرى
الجبالة . واستمع مناقبي الجميلة . اطارد جيوش الظالماء برمحي . وأمزق
أثواب الديجور بصبحي . جمع عاملي بين طلع النخل ، وحلاوة النحل .
يتلو سورة النور لسانی . ويقوى في مصادمة عساكر الليل البهيم
جناني . أسامر المليك خلوه : واستجلى من محاسني أحسن جلوه . والله
در القائل :

انظر الى شمعدان شكاه عجب كروضة روضت أزهارها السحب
يطارد الليل رمح فيه من ورق سنانه لهب من دونه الذهب
فمثل هذه المناقب تتلى . ومثل هذه المحاسن تظهر وتجلي .
فأذرم نار تبينه : في أحشاء قرينه . فعندها قال انقنديل :

لقد أطلت الافتخار بمحاسن غيرك . لما وقفت في المناظرة ركائب
سيرك : فاشكر اليد البيضاء من شمك . واحرص على معرفة قيمتك
ووضعك . وأما افتخارك بتلاوة سورة النور . فانا أحق به امنك اذ محلي

الجوامع . والفرقان فارق بينى وبينك مع انه ليس بيننا جامع . ففضيالى فيه بينة . وآية نورى فى سورة النور مبينة . فاقطع مواد اللجاجة . واقرا الآية المشتملة على الزجاجة ، يظهر لك من هو الاعلى . ومن بالافتخار الاولى . تخالى درة علت فى الهواء ، وكوكبا من بعض كواكب الجوزاء

قنديلنا فاق بأنواره نور رياض لم تنزل مزهره
ذبالة (١) فيه اذا أوقدت حكمت بحسن الوضع نيلوفره (٢)
لا يحمل الاقضاء (٣) خاطرى . ولا يغتم مشاهدى وناظرى . فانا خلاصة السبك ، والتبر الذى لا يفتقر الى الحك . اشتقاق اسمك من النحوس . ومن جرمك تقام هياكل الفلوس . لقد عرضت نفسك للمنية . وانعكست عليك مواد الأمنية . مع أن الحق أوضح من لبة الصباح . وأسطع من نور المصباح . والآن غصعت بريقك . وخفيت لوامع بروفك . قيذه الشهباء والخابه (٤) . وهذه ميادين المناضلة رحبة . فحار الشهدان فى الجواب . وجعل ما أبداه اولافصل الخطاب . فقال القنديل :

لا بد من الاقرار بأن قدحى المعلى . وانى عليك بالتقديم أولى ،
وان مقامى العالى . ونورى المتوالى .

(١) ذبالة : فتيلة . (٢) نيلوفره : ضرب من النبات ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق اماس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر . (٣) الاقضاء : جمع القذى وهو ما يقع فى العين والشراب من تبن ورمل ونحوهما (٤) الحلبة : الخيل تجمع للسباق .

فقال الشمعدان :

لامنازعة فيما جاء به الكتاب من تفضيلك . وكونك الكوكب
الدرى الذى قصر عن بلوغك باع مثيلك .

فجنح الشمعدان لاسلم . وترفع عن استيطان مواطن الأثم . وشرع
يبدى شعائر الخضوع . وينثر أعلام الأوبة عما قال والرجوع . وقال :
لولا حمية النفوس . ما تحملت بماخر ناصفات الطروس . ولولا
القال والقييل ، ماضنا معرض التمثيل . ولكن أين صفاؤك من كدرىه
وأين نظرك من نظرى . خصك الله بنوره . وذكرك فى فرقانه وزبور .
فمندها تهلت أسارىر القنديل ، وتبسم فرحاً بالتعظيم والتبجيل . وقال :
حيث رجعنا الى شرح الاوصاف . واظهار محاسن الاوصاف .
ففضلك لا يبارى . ووصفك لا يجارى . يحسبك الرائي خيلة ^(١) نور
تفتحت أزهارها . وحديقة نرجس اطردت أنهارها . تسربك النفوس .
وتدار على نضارتك الكؤوس . وان اللائق بحالنا طى بساط المنافسة .
واخذ شرر المقايسة . والاستغفار فيما فرط من كلامنا . والرجوع الى
الله فى اصلاح أقوالنا وأفعالنا .

ونقول :

الاصل فيما نقلناه عدمه . فقد حنى كل واحد منا فى ابراز معاييه
قامه . ونسئل الله أن تدوم لنا نعمه . ويتعاهدنا فى المساء والصبح
كرمه بمنه وجوده وكرمه آمين

(١) خيلة : شجر مجتمع كثيف .

مناظرة الازهار

للعالم العلامة والبحر الفهامة جلال الدين السيوطي
حدثنا الريان عن أبي الريحان عن أبي الورد أبان . عن بابل
الأغصان . عن ناظر الانسان . عن كوكب البستان . عن وابل
البتان (١) قال :

مررت يوماً على حديقة . خضرة نضرة أنيقة . طولها وديقة (٢)
وأغصانها وريقة . وكوكبها أبدى بريقه . ذات الوان وأفنان . وأكمام
واكنان (٣) وإذا بها أزردار الازهار مجتمعة . وأنوار الانوار (٤) ملتمة
وعلى منابر الاغصان أكبر الازهار . والصبيا تضرب على رؤسها من
الاوراق الخضرة بالمزاهر . فقات لبعض من عبر . الأتحذني ما الخبر .
فقال :

أن عساكر الرياحين قد حضرت . وأزاهر البساتين قد نظرت
لما نضرت (٥) . واتفقت على عقد مجلس حافل . لأختيار من هو بالملك
أحق وكافل . وها أكبر الازهار قد صعدت المنابر . ليبدى كل حجته
ل لناظر . وينظر بين أهل المناظر في انه أحق أن ياحظ بالنواظر .
من بين سائر الرياحين النواذر . وأولى بأن يتأمر على البوادي منها
والحواذر . فجاست لاحضر فصل الخطاب . واسمع ما يأتي به كل من

(١) وابل البتان : المطر الشديد الكبير القطر (٢) وديقة : جوانبها معشبه
مخضرة (٣) : اكنان : جمع كن وقاء كل شيء وسره . (٤) الاول جمع نور
وهو الضوء . والثاني جمع نورة بمعنى الزهرة . (٥) نضرت : يقال نضرت الشيء
إذا احسن والمراد بنضرة الازهار تفتحها

الحديث المستطاب .

(فهم الورد) بشوكته ونجم^(١) من بين الرياحين معجبا بأشراق صورته وإفراق^(٢) صولته . وقال :

بسم الله المعين وبه نستعين . أنا الورد ملك الرياحين . والوارد منعشاً للارواح ومتاعاً لها الى حين . ونديم اخفاء والسلاطين . والمرفوع أبداً على الاسرة . لأجاس على ترب ولاطين . والظاهر لوني الاحمر على ازاهر البسانين . والعزيز عند الناس . والمودود بين الجلاس الأيناس . والعاذل في المزاج . والصالح في العلاج . أسكن حرارة الصفراء . وأقوى الباطن من الاعضاء . وأبرد أنواع اللهب السكائنة في الراس . وربما استخرجها منه بالعطس . وانفع من القلاع والقروح^(٣) . وأنا بعطرتي ملائم لجوهر الروح . ومن تجرع من ماءى إسيراً نفع من الغشى والخفقان كثيراً . ودهنى شديد النفع للخراجات . وفيه مآرب كثيرة لذوى الحاجات . وأنا مع ذلك جلد صبيار أجرى مع الاقدار . اذا صليت^(٤) بالنار . فانهذا رفعت من أغصانى الأشائر . ودقت من داراتى^(٥) البشائر . فاعمات لى المشاعر^(٦) وقال فى الشاعر .

للورد عندى محل ورتبة لأعمل
كل الرياحين جند وهو الامير الاجل
ان جاء عزوا وتاهوا حتى اذا غاب ذلوا

(١) طلع وظهر (٢) إفراق : اخافة (٣) القلاع : بثرات تكون فى جلدة النغم واللسان الواحدة قلاعة والقروح : الجروح (٤) وضعت على النار للتقطير . (٥) داراتى : جمع داره مأخاط بالشيء . (٦) : العلامات أعرف بها .

(فقام النرجس) على ساق . ورمى الورد منه بالاحداق وقال :
لقد تجاوزت الحد ياورد . وزعمت أنك جمع في فرد . ان اعتقدت
أن لك بحمرتك فخرة (١) . فاتها منك فجرة (٢) وان قلت انك نافع
في العلاج فكلم لك في منهاج (٣) الطب من هاج (٤) فأحفظ حرمتك
والا كسرت بقائم سيفي شوكتك . ويكفيك قول البستي فيك .
لا يغرنك اني لين المسلس لاني اذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكاه
والكن أنا القائم لله في الدياجي (٥) على ساقى . الساهر طول الليل
في عبادة ربي فلا تطرف أحداق . وأنا مع ذلك المعد للحروب . المردو
عند تراحم الكروب . الا ترى وسطى لا يزال مشدوداً . وسيفي لا يزال
مجرداً . وأنا فريد الزمان في المحاسن والاحسان . ولهذا قال . في كسرى
انوشروان (النرجس يا قوت أصفر . بين در أبيض : على زمرد أخضر .)
وأنا المقرون في مهمات الادواء بالصلاح . أنفع غاية النفع من داء
الثعلب (٦) والصرع . ومن الدليل على صلاحى . أن أبانواس غفر له
اننى على بابيات قالها بامتداحى .

تأمل في رياض الأرض وانظر الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات باحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

(١) فخرة : فخرا (٢) فجرة : كذب (٣) اصل المنهاج : الطريق .
(٤) : هاج : ذام (٥) الدياجى : ظلمات الليل (٦) داء الثعلب : علة معروفة
يتناثر منها الشعر وسمى داء الثعلب لعروضه للثعلب

ولقد أحسن ابن الرومي حيث قال مبيدنا فضلي على كل حال :

ايها المحتجج للورد بزور ومحال

ذهب النرجس بالفضـل فانصف في المقال

(فقام الياسمين) وقال : آمنت برب العالمين . لقد تجبست (١)

ياجبس واكثرك رجس نجس . وانت قليل الحرمة . واسمك مشمول
بالعجمة . وكيف تطاب الملك وانت بعد قائم مشدود الوسط في
الخدمة رأسك لا يزال منكوساً وانت المهيج للقيء المصدع من
المحرورين للروس . اصفر من غير علة . مكسو أحقر حلة . ويكفيك
بعض واصفيك .

ارى النرجس الغض الزكي مشمرأً على ساقه في خدمة الورد قائم
وقد فل حتى لف من فوق رأسه عمام فيها لليهود علام
ولكن انازين الرياض . والموسوم في الوجهه بالبياض . شطر
الحسن كما ورد . وانا الطف من ورد جاورد . واثمري اءبق من
نشرك صباحاً وندأ . فانا احق بالملك منك منصوراً ومؤيداً . وانا
النافع من امراض العصب الباردة . والملطف للارطوبات الجامدة .
انفع من اللقوة والشقيقة (٢) والركم . ومن وجع الرأس الباغى
والسوداوى . ودهني نافع من الفالج ووجع المفاصل . ويحالى الاعضاء .

(١) تجبست : يقال تجبس في مشيئته : تبخر . والجبس الجبان اللثيم

(٢) الشقيقة : وجع يأخذ في نصف الرأس والوجه

ويجلب العرق الفاضل . يقول لى لسان الحال: (ألتست الهزيل مقاما
ياياسمين ويشهد لسان الألتغ بأنى الدر الغالى اذا قال : ياأمين .

انا الياسمين الذى لطفت فنلت المنى
فريحى لمن قد نأى وعينى الى من دنا
وقد شرفت حضرتى لصبرى على من جنى

(فقام البان) وابدت غاية الغضب وأبان وقال :

لقد تعديت ياياسمين طورك . وابدت فى المداغورك {١} وكونك اضعف
الكون . وكثرة شمك تصفر اللون . واذا سحق اليابس منك ورض {٢}
وذر على الشعر الاسود ابيض . واذا قسم اسمك قسمين صار ما بين
ياس ومين وان ذكرت نفحك فأنت كما قيل لانسوى جمعك . واقد
صدق القائل من الاوائل .

لامرحبا بالياسمين وان غدا فى الروض زينا
صحفته {٣} فوجدته متضما ياساً ومينا

ولكن اناذوا الأسمين . والظافر بالأصل والفرع بالمقسين . والقريب
من الباز . والمضروب بقدى المثل فى الاهتزاز . از هارى عالية . وادهانى
فاليه . وقد البست خاءة السنجاب {٤} . واتفق على فضلى الانجاب .
أنفع بالشم من مزاجه حار . وأرطب دماغه وأسكن صداعه . ودهنى
نافع لكل وجع بارد ، وتحت ذلك صور كثيرة الموارد من الرأس

(١) غورك : عمقك (٢) رض : دق . (٣) التصحيف تغيير الكلمة
بإبدال بعض حركاتها أو حروفها (٤) حيوان يشبه اليربوع أكبر من الفار .
تتخذ من جلده الثراء

والضرس : ويكفي في وردى قول ابن الودرى .
تجادلنا أماء الزهر أذكى أم الخلاف (١) أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلاحنا وقد وقع الوفاق على الخلاف
(فقام النسرين) بين القائميين . منتصراً لأخيه الياسمين . وقال :
أتعدى يابان (٢) على شقيقى . وأين الفرى من الذهب الدبىقى : ألم
يعرفك الحال قول من قال :

لله بستان حللنا دوحه فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيراً رأت بعض الكلاب فنفتت أذنانها
ولكن أنا زين البستان . وفى من الذهب والفضة لوانان . أنفع
من اورام الحاق . واللوزتين . ووجع الاسنان . ومن برد العصب
والدوى والطنين فى الأذان . واسكن التقيء والفواق . وأقوى القلب
والدماغ على الاطلاق وبى غاية الانتفاع . والبرى منى إذا طخ به الجبهة
سكن الصداع . ويكفيك من المعانى قول من عنانى :

ما أحسن النسرين عندى وما أمله مذكان فى عينى
زهر إذا ما أنا صحفته وجدته بشرى ويسرين
(فقام البنفسج) وقد التهب . ولاحت عليه زرقه الغضب وقال :
أيها النسرين لست عندنا من المعدودين ، ولا فى الصلاح من
المحمودين . لانك حار يابس انما توافق المبرودين ، ولا تصاح الا للمشايخ

(١) نوع من شجر الصنصاف (٢) البان : شجر سيط القوام لين ورقه
يشبه ورق الصنصاف الواحدة بانه ويشبه به القد لطوله .

المباغمين . وانت كثير الاذاعة فلست على حذظ الأسرار بأمين . ويعجبني
مقال فيك بعض المتقدمين .

ولم أنس قول الورد لا تركنوا إلى معاهدة النسرين فهو يمين (١)

ألم تنظروا منه بنانا مخضباً وليس لمخضوب البنان يمين (٢)

ولكن أنا اللطيف الدات . البديع الصفات . المشبه بزرق

اليواقيت . وأعناق الفواخيت (٣) ومزاجي رطب بارد . ومنافعي

كثيرة الموارد : أولد دما في غاية الاعتدال . وأنفع الحار من الرمد

والسعال . وأسكن الصداع الصفراوى والدموى لمن شم أو ضمد . والين

الصدر ، وأنفع من التهاب المعده (٤) وكفاني شرقا بين الاخوان . ان

دهنى سيد الأدهان بارد فى الصيف حار فى الشتاء . فهو صالح فى كل

الأزمان وذلك لأنه يسكن القنق . وينوم أصحاب الأرق . ومنافعي

لأنحصى . وما أودعه خالقى فى لا يستقصى . من رأى آذن بالانشراح

وتفاءل بالانفساح ألا اسمع قول من باح وصاح

يامهديا لى بنفسجا أرجأ يرتاح صدوى له وينشرح

بشرنى عاجلاً مسحفه بان ضيق الأمور بنفسح

(فقام الليترفر) (٥) على ساق وحشد الجيوش وساق . وأنشد

بعد اطراق

(١) فعل مضارع بمعنى يكذب (٢) اسم بمعنى الحلف (٣) جمع فاخته

ذات الطوق من الحمام (٤) جمع معدة (٥) هو النيلوفر تقدم فى المناظرة الثالثة

بنفسج الروض تاه عجباً وقال طيبي للجو ضمخ (١)
فأقبل الزهر في احتفال والبيان من غيظه تنفخ

ثم قال للبنفسج :

بأي شيء تدعى الامارة . وتطاوع نفسك والنفس أماراة ، وأكثر
ما عندك أنك تشبه بالعدار وبالار في الكبريت (٢) وحاصل هذين
يرجع إلى أشنع صيت ، وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله
وأكثر ، وأنا أحرى بسلامة العاقبة منك وأجدر ، من شرب اليباس
منك ولده قبضاً على القلب ، وربى في معدته وأمعائه وأحدث له
الكرب ، وقد كفاها الورد مؤنة الرد عليك . وحذرنا من القرب منك
والاصفاء اليك . فقال :

أعلى يفتخر البنفسج جاهلاً وإلى يعز كل فضل يبهر
وأنا المحبب للقلوب زمانه وبمقدمي أهل المسرة تفخر

وقال الخاكي عن الورد الباكي

عاينت ورد الروض يلطم خده ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وإن تضوع ثمره ما بينكم فهو العدو الأزرق
ولكن أنا اللطيف الغواص . المكثير الخواص . أسكن الصداغ
الحار ، وأذهب بالارق والأسهار ، وما أحسن ما قال في بعض واصفي

(١) لطح (٢) يشير إلى قول القائل في وصف البنفسج .

كأنه وضعاف القضب تحمله * أوائل النار في اطراف كبريت

يرتاح . للينوفر القاب الذي لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد أصبح في الروائح عبده والزرجس المسكى خادم عبده
ياحبه في بركة قد أصبحت محشوة مسكا تشاب بنده (١)
ومنى صنف يقال له البشنين (٢) يشابهنى في التكوين ، لا في التلوين .
ويحدث عند اطباق النيل ، وله في منافع الطب تنويل ، دهنه محمود في
البرسام (٣) إذا تسعط به ذوالاسقام ، وقد أشد فيه من أراد أن يوصله
حقه ويوفيه

وبركة بغدير الماء قد طفحت بها عيون من البشنين قد فتحت
كانها وهي تزهو في جوانبها مثل السماء وفيها أنجم سبحت
(فقام الآس) وقد استعد وقال :

أقد تجاوزت بالينوفر الحد ، الست المضعف للمرء في قواه الجالب
له صفة الشيخوخة في صباه ، ولقد عرفك من قال حين وصفك
ولينوفر أبدى لنا باطن له مع الظاهر المخضر حمرة عندم (٤)
فشبهته لما قصدت هجاءه بكاسات حجام بها لوثة الدم
أنا المقوى للابدان . الحابس للاسهال والعرق وكل سيلان والمنشف
من الرطوبات المانع من الصنمان المسكن للاورام والحمرة (٥) والشرى

(١) تخلط بالعنبر . (٢) البشنين : نبات يسميه المصريون عرائس النيل لانه
ينبت عند زيادة النيل يظهر صباحا ويغيب مساء (٣) البرسام : التهاب يعرض
للحجاب الذى بين الكبد والقلب فارسي معرب معناه التهاب الصدر (٤) عندم :
خشب شجر عظام وورقه كورق اللوز ساقه احمر يصبغ بطبخه ويلحم الجراحات
ويقطع الدم ويجفف القروح (٥) : الحمرة : ورم من جنس الطواعين

والصداع والخفقان . وأنا الباقي في طول الزمان . وقال في " بعض الاعيان
الآس سيد أنواع الرياحين في كل وقت وحين في البساتين
يبقى على الدهر لا تبلى نضارته لافي المصيف ولا في برد كانون
وقال آخر

للآس فضل بقاءه ووفائه ودوام منظره على الأوقات
قامت على أغصانه ورقاته كنبول^(١) نبل جنن مؤتافات
(فقام الريحان) وقال يا آس لا جرحنك جرحا ماله من آس^(٢)
إذا قلت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام
وأنا الوارد في " عليكم بالمرزنجوش^(٣) فشموه فانه جيد للخشام^(٤)
وأنا أنفع من اسعة العقرب لمن باخل ضمده ودعني يدخل في الضمامات
للفالج الذي يعرض فيه ميل الرقية الى خلف . وفي تشنج الاعصاب
ومع هذا فأنا المنوه بأسمى في القرآن حيث يقال : فروح وريحان .
وحسبك مني في التشبيه قول من قال على البديه :

أما ترى الريحان أهدى لما حماحماً^(٥) منه فاحيانا
كأنه في ظله والندى زمرد يحمل مرجانا

فمطف عليه الآس وقال :

يا ریحان . أتريد ان لسود وانت اشبه بهامات العبيد السود . ألم يغنك

(١) جمع نصل وهي حبيبة توضع في رأس السهم (٢) طيب (٣) المرزنجوش :

معرب مرزنجوش الفارسيه وعربته سمسق او الياسمين (٤) الخشام : داء يعترى

الانف . (٥) حماحماً : نبات طيب الرائحة يعرف بالحبق الليموني .

عن مقصوري قول الشهاب المنصوري

وريحان تيمس به غصون يطيب بشمه ثم الكؤوس
كسودان لبسن ثياب خنز وقد قاموا مكشيف الرؤس

قال الراوى : فلما ابدى كل مالديه . وقال ماورد عليه . اتفق رأى الناظرين . وأهل الحل والعقد من الحاضرين . على ان يجعلوا بينهم حكماً عادلاً يكون لقطع النزاع بينهم فاصلاً . ففقدوا رجلاً عالماً بالاصول والفروع . حافظاً للآثار الموقوف منها والمرفوع . عارفاً بالانساب . مميّزاً بين الاسماء والالقباب والاتباع والاصحاب . مديد الباع . بسيط اليدين فى معرفة الخلاف والاجماع . خبيراً بمباحث الجدل . واستخراج مسالك العال متبحراً فى علوم اللغة والاعراب . مطاعاً بعلوم البلاغة والخطاب . محيطاً بفنون البديع . حافظاً للشواهد الشعرية التى هى ابهى من زهر الربيع . شديد الرمية . شديد الاصابة الشعر والنظام صوغ بيانته . والنثر والانشاء طوع بنانه . والتاريخ الذى هو فضيلة غيره فضلة ديوانه . فلما مثلوا بين يديه . ووقعت اعينهم عليه قالوا :

يا فريد الارض . يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض . انا اخمسام بغى
بعضنا على بعض . فانظر فى حالنا . لنكون لك ذخيرة يوم العرض
واحكم بيننا بالحق . واقض لآينا بالملك احق . فقال :
ايتها الازهار . انى لست كلذى تحاكم اليه العنب والرطب . ولا الذى
تقاضى اليه الشمس والتوت . ولا التين والعنب انى لا اقبل الرشا .

ولا اطوى على الغل الحثا : ولا اميل مع صاحب رشوة . ولا استحل
 من مال المسلمين حسوة . انما احكم بما ثبت في السنة . ولا اسلك الا طريقاً
 موصولاً للجنة . فقصوا على الخبر . لا عرف من فجر منكم وبر . فلما قص
 عليه كل قوله . وابدى هيئه وسوءه . بن :

ليس احد منكم مستحقاً لملك . ولا صالحاً للاثمخراط في هذا السلك
 ولكن الملك الاكبر . والسيد الاير . وصاحب المنبر . ذو النشر الاعطر
 والقدر الاخطر . السيد الايد الصالح الجيدهو الفاغية (١) وقد جاء في
 الحديث : ان سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية . اشتمل على
 ما في الرياحين من الحسنى . وحكم له بالسيادة . وشهد له بها وناهيك
 بالشهادة

قال : فاما سمعت الرياحين الاحاديث في فضل الفاغية . اطرقوا
 رؤسهم خاشعين . وظلت اعناقهم لها خاضعين . ودخاوا تحت امره
 سامعين طائعين . ومدوا ايديهم لها مبايعين بالامرة ومتابعين . وقالوا
 لقد كنا قبل في غفلة عن هذا انا كما ظالمين . وانا اذا لمن الاثمين وقضى
 بينهم بالحق . وقيل الحمد لله رب العالمين .

(١) الفاغية : زهر الحناء .